

مظاهر تأثير الصورة النصية في المنهج سيميائيًا - الكتاب المدرسي أنموذجًا

Aspects of the effect of the textual image on the semiotic meaning - the textbook as a model

بومدين فتحي^{1*} ، د. زحاف حبيب²

¹ جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر (الجزائر) boumedienefethi1984@gmail.com

² جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر (الجزائر) zahafhabib5462@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/03/28

تاريخ القبول: 2022/02/03

تاريخ الإرسال: 2021/12/24

الملخص : يهدف هذا البحث إلى إبراز أهمية الصورة النصية كأهم المرتكزات في الكتاب المدرسي ودورها في إكتساب المهارات مختلفة للمتعلمين ، وتجويد العملية التعليمية وابتكار أفضل الطرائق و الوسائل بفعل إجراء مرافقة النص للصورة و الذي يسهم بشكل كبير في تفسير رموزها و بيان دلالاتها مما يثبت بجزم على أنه لا غنى للصورة عن النص من أجل تفعيل التعليم و التعلم ، و العلاقة التفاعلية بين عناصره. المعلم، و المتعلم ، فهي تعتبر ضرورية في رسم دافعية المتعلم و استثمار المعرفة اللغوية المقدمة له بغية تطوير مكتسباته الإدراكية .
الكلمات المفتاحية : الصورة ، التعليمية ، السيميائية، النص

Abstract: This research aims to highlight the importance of the text image as the most important pillars in the textbook and its role in acquiring different skills for learners, improving the educational process and innovating the best methods and means by doing the accompanying text to the image, which contributes greatly to the interpretation of its symbols and its indications, which is firmly proven. However, the image is indispensable to the text in order to activate teaching and learning, and the interactive relationship between its elements, the teacher and the learner, as it is considered necessary in drawing the learner's motivation and investing the linguistic knowledge provided to him in order to develop his cognitive gains.

Key words : The image, the educational, the semiotic, the text

مقدمة :

لقد أضحت الصورة النصية أحد أهم مرتكزات الخطاب اللغوي في الكتاب المدرسي ذلك لأن التكامل بينهما يقوي المعنى المراد إيصاله للمتعلم، لذا فإن المتصفح للكتب المدرسية نادرا ما يجدها تخلو من صورة أو رسم توضيحي، ذلك لأنها تعد الوسيلة الأكثر تفردا عن باقي الوسائل التعليمية الأخرى من حيث مميزاتها و خصائصها، و هذا طبعا بفعل ما تحدثه في نفوس المتعلمين من تأثير و تشويق و جاذبية، فهي إذا تسهم ايجابيا في تربية الذوق الفني لدى المتعلم، و تدفعه إلى الاكتشاف و تنمية الإبداع لديه، لأن ما يلاحظه المتعلمون من صور، و ما يتوصلون إليه من دلالات و معاني من خلال الوصف و الاستدلال و التحليل و الاستنتاج، يجعلهم أكثر قدرة و كفاية على التحصيل و بقاء أثر التعليم؛ و عليه فإن " الصورة داخل الكتاب تعمل على منح الطفل فسحة للملاحظة الهادئة المتأنية ليسأل و يحصل على التفسير المناسب و الشرح الوافي لأسئلته، فهي إذا تجلب انتباه المتعلم و تؤثر فيه،

و بالتالي فإنها تؤسس لخلق فضاء تواصلية يكون بمثابة متنفس يدفعه إلى أعمال قدراته العقلية لتتجسد في شكل مهارات وكفايات.

فالصورة النصية هي أيضا إحدى الوسائل الإقناعية التي لا غنى عنها في العملية التعليمية، فهي تكثيف لمجموعة من الرموز والعلاقات الدالة والقائمة على المشاهدة للعلم الخارجي، فهي إعادة إنتاج للواقع لكن بتحويل هذا الواقع من المجرد إلى المحسوس، ومن اللامعقول إلى المعقول، ومن خلال هذا تتضح أهمية الصورة النصية في الكتاب المدرسي من حيث امتلاك شعور المتعلم و خياله وفكره، بوصفهما نسقا تواصليا نتج عن مجموعة من العلاقات الدالة، ذلك لأن الأساس في الخطاب البصري هو التهيئة النفسية التي تجعل المتعلم مستعدا لاستقبال الخطاب اللغوي وتقبله، قصد إثارة اهتمامه نحو ما يراد تقديمه له من التوجيه التعليمي، لذا فإن الوظائف التي تؤديها الصورة النصية تضيء على النص اللغوي طابعا دلاليا فدورها إذا جوهرى وبالغ الأهمية لأنها تعد السند لمجموعة المعارف التواصلية والثقافية والإبداعية

يمكن القول إذا بأن العامل الأكبر في ترقية الذوق الجمالي لدى المتعلم من خلال ما يشاهده من الصور المتضمنة في الكتاب المدرسي، هو المداومة والاستمرار في القراءة الفنية للأشياء استجلاء أبعادها ووظائف حضورها وتشكيلها، حيث من خلالها تولد الملكة الذوقية التي تأخذ بيد المتعلم و تنتقل معه بالقيم التذوقية المدروسة إلى مواقف الحياة، تلك هي الممارسة الحقيقية التي تعمل على ترقية الذوق لدى المتعلم.

فأهمية الدراسة وردت في ما يمكن أن تقدمه الصورة من إضافات التعليمية من حيث أنها تعمل على إيصال المعنى، إذ بلاغتها قوية قوة تأثيرها في المتلقين ولها مخزون دلالي كاف ليجعل منها وسيلة تعليمية بالغة التأثير.

أما الهدف من الدراسة يمكن إجماله في النقاط التالية :

- بيان أهمية الصورة بوصفها أحد أهم الأدوات المعرفية والثقافية في عصرنا
- الكشف عن قوة بلاغتها في التعبير والتواصل من حيث غزارة مخزونها الدلالي وتعدد وظائفها
- السعي إلى ترقية التربية البصرية في صفوف المتعلمين .

أما عن أسباب اختيار الموضوع

- عرض القيمة الحقيقية للصورة النصية، من حيث إيضاحها لدلالة النص، وتقريب المعاني إلى أذهان المتعلمين

- تمكين المتعلمين من آليات قراءة الصورة النصية قراءة واعية تأملية، ليكونوا قادرين على استغلال إيجابياتها .

وعليه، فالإشكال الذي يتبادر هو كيف يمكن لمكونات الصورة النصية في الكتاب المدرسي أن تعبر عن دلالة النص وتثري معناه ؟

1 مفهوم الصورة النصية :

الصورة لغة : هي من مادة (ص.و.ر) وهي تعني هيئة الفعل أو الأمر و صفته، وفي لسان العرب فهي تعني "الشكل و جمع صور و صور، ويقال صوره فتصوّر، وتصوّرت الشيء : توهمت صورته، فتصوّر لي، و التصاوير: التّمثيل " (1) أما التصور فهو "مرور الفكر بالصورة الطبيعية التي سبق وأن شاهدتها وانفعل بها ثم اختزنها في مخيلته مرورها بها بتصفّحها" (2)

الصورة اصطلاحاً: يقول عبد الحميد شاكر "أنها أكثر الاستخدامات العيانية (الملموسة) ويشير هذا الإستخدام بشكل خاص إلى انعكاس موضوع ما على مرآة، أو على عدسات، أو غير ذلك من الأدوات البصرية" (3)

2 . الصورة والسنن الإدراكي: إن المعرفة الأولية هي التي تساعد الذات المدركة على فك رموز الصور البصرية وربطها بالتجارب الواقعية التي تحيل عليها، لتصبح بذلك بمثابة المفتاح السري الذي يقودنا إلى تحديد المفهوم الخاص للأنموذج الإدراكي. والإحالة على معرفة سابقة، لها سببان هما (4)

أ- ما تدركه العين هو علامات لا موضوعات معزولة، والعالم تسكنه العلامات وليس خزاناً للأشياء.

ب- العلامة الأيقونية لا تدل من تلقاء ذاتها، فالمعني داخلها يستدعي استحضار التجربة الثقافية كشرط أساسي للإمساك بممكنات التدليل.

تحدثت جماعة مو عن "برمجة" مسبقة مودعة في الأجهزة الخاصة بالتعرف على الصور، وهي برمجة بيولوجية ومن طبيعة كونية، فالإدراك عند هذه الجماعة لا يمكن أن يصبح فعالاً إلا عندما نستحضر النشاط التذكري، حينها نمر من النسخة إلى السلسلة، ومن الحدث إلى النوع، وهذا الانتقال هو الذي يسمح لنا بالحديث عن مقولة الموضوع، وفي هذه الحالة فإننا ننتقل نمائياً إلى الميدان الثقافي، أي إلى ميدان النسبية.

كما سلف ذكره أن هذه الجماعة من خلال تصورها العام للإدراك الأيقوني تصورا أصيلاً لبناء العلامة الأيقونية ونمط اشتغالها، يضع حداً لأي تشابه في الاشتغال بينها وبين بناء العلامة اللسانية. وهو تصور- من وجهة نظر بنكراد- يستند ضمناً إلى مقترحات بورس في مجال التوزيع للعلامة (حتى وإن كان أعضاؤها لا يصرحون بذلك)، لتكون العلامة الأيقونية هي حصيلة الجمع بين ثلاثة عناصر مرتبطة فيما بينها وفق علاقات مخصوصة: الدال الأيقوني والنوع والمرجع.

- الدال الأيقوني: هو مجموع منمذج من المثيرات البصرية المتطابقة مع نوع قار يتم التعرف عليه استناداً إلى السمات التي يوفرها هذا الدال، فالصورة تشتغل، من خلال تحققها ضمن كيان مخصوص، بصفتها دالاً يمثل الموضوعات التي تدرك عبر النوع.

- النوع: هو نموذج مستبطن وقار، ويعد أساس السيرورة المعرفية عندما تتم مواجهته بمادة الإدراك. ويعتبر النوع في المجال الأيقوني، تمثيلاً ذهنياً يتشكل من خلال سيرورة إدماجية، ويمكن القول إن النوع هو صيغة مخصوصة -التعريف الذي يخص به بورس المؤول- للعنصر الثالث

داخل البناء الثلاثي للعلامة يعتبر النوع الضمانة الأساس على وجود العلامة استقبالا وعلى إمكانات التعرف عليها وتأويلها باعتبارها سندا للدلالات.

- المرجع: فهو القسم الذي يحيل عليه الدال، إنه موضوع يعد جزءا داخل قسم، لا مجموع غير منظم من المثبرات فعلى الرغم من أن الصورة هي كيان يخصص ولا يعمم ويظهر النسخة لا النموذج، فإن التعرف على مكوناتها لا يمكن أن يتم إلا استنادا إلى ما يوفره النوع من خطاطات، ولهذا السبب فإن الموضوع ليس شيئا بل تحيين لنوع (5).

وفقا لهذا البناء الثلاثي، فإن الصورة لا يمكن أن تنفلت من قبضة التسنين المسبق في عملية التعرف إنتاج الدلالات. فلا وجود لكيان بصري مكثف بذاته وحامل لدلالته خارج أي سياق، إنه لن يكون كذلك إلا في حدود دخوله ضمن عالم التسنين الثقافي المسبق.

3. قراءة الصورة وإنتاج المعنى:

تتم قراءة الصورة وفق مبدأين لسانين وسيميائيين مهمين يعتمدهما كل مشتغل على سيميائيات الصورة، وبها تنتقل الصورة من عالم التحقيق إلى عالم التخيل المنفتح على كل تأويل، وهما مبدأى التعيين والتضمين.

وهذا نجده عند العديد من الباحثين، من أبرزهم رولان بارث، الذي استثمر هذين المستويين في قراءته للصورة، بعدما طوعهما لجهازه المفهومي والمصطلحي، آخذا مصطلحي التعيين والتضمين كقطبين ووظيفتين مهمتين في سيميائية يلمسلاف (6) ، فإذا كانت الوظيفة التعيينية تطرح سؤال ماذا تقول الصورة؟، والتي ستجيب عنها القراءة الوصفية، فإن الوظيفة التضمينية أو الإيحائية ستطرح سؤالا إجرائيا وتأويليا، وهو كيف قالت الصورة ما قالتها؟ (7) . هذه الأسئلة تجيب عليها القراءة التأويلية، باحثة في بنياتها التكوينية والتشكيلية، من خلال طرح العديد من الأسئلة الأخرى (8).

- ما هو أول شيء يجلب الانتباه للصورة؟.

- ما هو التأثير الذي توقعه علينا؟

- ما هي العلاقة الموجودة بين الصورة والنص (في حالة وجوده)؟

كل هذه الأسئلة وأخرى دعتنا إلى وضع قراءة متأملة وتأويلية للصورة، انطلاقا من طبيعتها،

مكوناتها وتأويلها، والتي توضحها العناصر الموالية:

أ- طبيعة الصورة: إن "اللغة البصرية التي يتم عبرها توليد مجمل الدلالات داخل الصورة هي لغة بالغة التركيب والتنوع، لأن المضمون أو المضامين الدلالية للصورة هي نتاج تركيب يجمع بين ما ينتمي إلى البعد الأيقوني (التمثيل البصري الذي يشير إلى المحاكاة الخاصة بكائنات أو أشياء...)، وبين ما ينتمي إلى البعد التشكيلي مجسدا في أشكال من صنع الإنسان وتصرفه في العناصر الطبيعية، وما راكمه من تجارب أودعها أثاثه وثيابه ومعماراه وألوانه وأشكاله وخطوطه (9) .

إن الصورة الثابتة في فضاء أو مجال لتقاطع علامات عديدة ومتنوعة، مختلفة ومتكاملة، جمعتهما مارتين جولي في ثلاث أنواع «الصورة: بالمعنى النظري لمصطلح علامات أيقونية، وأيضا علامات تشكيلية: من ألوان، أشكال، وتأليف داخلي... وفي أغلب الأحيان من علامات لغوية أيضا» (10)، وحضور هذه الأنواع المختلفة من العلامات ليس حضورا اعتباطيا، لأن كل شيء في الصورة يتكلم، «فلا وجود للأيقون الأخرس أبدا (11) -حسب رأي رولان بارث-

- العلامة الأيقونية (Signe Iconique): فالصورة تستند، من أجل إنتاج معانيها، إلى المعطيات التي يوفرها التمثيل الأيقوني كإنتاج بصري لموجودات طبيعية تامة (وجوه، أجسام، حيوانات، أشياء من الطبيعة...)، إن كل التأويلات الممكنة للصورة يجب أن تستند إلى هذه المعرفة الخاصة بالحضور الإنساني داخل الكون من خلال مجمل لغاته، وعلى رأسها لغة جسده. ففهم الصورة وقراءتها مرتبطان بقدرة المتلقي على القيام بالتنسيق بين مجمل العناصر المشكلة لنص الصورة، وهو تنسيق لا يستند إلى ما تعطيه الصورة، بل يستند إلى معاني هذه العناصر خارج الصورة وضمن سياقات الفعل الإنساني المتنوعة (12)، بمعنى أن تأويل الصورة لا يمكن أن يتم دون استعادة المعاني الأولية للعناصر المكونة للصورة، وضبط العلاقات القائمة بينها ضمن نص الصورة.

- العلامة التشكيلية (Signe Plastique): تستند الصورة من جهة ثانية إلى معطيات من طبيعة أخرى، أي إلى عناصر ليست من الطبيعة ولا من الكائنات التي تؤثر هذه الطبيعة. ويتعلق الأمر بما يطلق عليه التمثيل التشكيلي للحالات الإنسانية، أي العلامة التشكيلية: الأشكال والخطوط والألوان والتركيب (ما يعود على الطريقة التي يتم من خلالها إعداد المساحة المؤهلة لاستقبال الانفعالات الإنسانية مجسدة في الأشكال والأشياء والكائنات). (13) لكن هذه العناصر لا يمكن أن تؤدي أي دلالة في معزل عن بعضها، لا اللون في ذاته ولا الشكل في ذاته قادر على إنتاج دلالة في انفصال عن بعضهما البعض، فالعلاقات بينها هي مصدر دلالاتها.

ب- مكونات الصورة:

- التنظيم المجمل للصورة: إن الصورة لا تستقبل للوهلة الأولى بالكيفية الخطية التي يستقبل بها النص، «لكن هذه القراءة المجملة ما تلبث لتصبح في مرحلة ثانية قراءة خطية، لأن تركيز بصرنا على الصورة سوف لن يمدنا دفعة واحدة بكل الرسائل والدلالات الممكنة، لذا يقتضي أن تقوم العين بمجموعة من الحركات العمودية والأفقية والدائرية (14)، ولذلك يكون استقبال الصورة في المرحلة الأولى مجملا، فالعين تمسح الصورة، ولكن تثبتها على نفس الإطار (15)، فتكون حركات العين هي الوسيلة الأولى لتحديد مسار الصورة.

- المنظور: يميز أهل الاختصاص بين معنيين للمنظورية، معنى واسع يراد به العلم الذي يكمن في تمثيل الموضوعات والأشياء على سطح ما بالكيفية نفسها التي نراها بالبصر، أخذا بعين الاعتبار عنصر المسافة، ومعنى ضيق عرف منذ بداية عصر النهضة، بأنه العلم الذي يكمن في تمثيل عدة

موضوعات مع تمثيل الجزء المكاني أيضا، الذي توجد فيه هذه الموضوعات بحيث تبدو هذه الأخيرة مشتتة في مستويات المكان، كما يبدو المكان للعين التي تتموقع في موضع واحد (16) إن هذا يدعونا للحديث عن عدة منظورات منظور جوي، منظور معكوس، منظور خطى (17).

- الإطار: نسي إطارا كل تقرير للتناسب أو الانسجام بين الموضوع المقدم وإطار الصورة، فللكل صورة حدود مادية تضبطها، وحتى إن لم تكن موجودة فإن الإحساس كما يظل قائما، و«يؤسس غياب الإطار لقيام صورة مزاحة عن المركز، ومحفزة على بناء تخييلي تكميلي».

4. مفهوم الكتاب المدرسي :

- الكتاب المدرسي هو وسيلة تعليمية أساسية لكل من التلميذ والمعلم ، وهو يؤدي دورا هاما في عملية التعليم والتعلم، فالكتاب يجب أن يتوفر على جملة من المواصفات من ناحية الشكل والمضمون ، من أجل المشاركة في بلوغ أهداف المنهج والوفاء بالأغراض التي أعد من أجلها " فالكتاب المدرسي وسيلة مساعدة للتعليم والتعلم ، يقصد بها أن تستعمل بجانب معينات أخرى قد لا توصف بأنها كتب على الإطلاق " .(18)

- يمتاز الكتاب المدرسي عن غيره من الكتب الأخرى بالميزات التالية : (19)
- يقدم إطارا عاما للمنهج الدراسي ويجدد المعلومات من حيث الكم والكيف .
- يقدم قدرا مشتركا من الحقائق والمعلومات لجميع التلاميذ بصرف النظر عن مستواهم التحصيلي وقدراتهم واستعدادهم .
- يحتوي على قدر من الحقائق والمعلومات المختارة بعناية والتي تم تنظيمها وفق أسس علمية ونفسية وتربوية تتلاءم مع التلميذ والمعلم والمدرس.
- يوجد في حوزة جميع التلاميذ دون استثناء .
- يتيح للتلاميذ التدريب على مهارات القراءة والتحصيل الدراسي .
- تتصل مادته بالكتب السابقة واللاحقة له في نفس المادة .
- توحيد النظام التعليمي ومنع الإزدواجية بما يؤدي إلى نشر ثقافة موحدة بين كافة النشء.
- توحيد اللغة بين أبناء الوطن الواحد.

5. مستويات قراءة الصورة والرسوم التعليمية:

- تعمل الصورة على استثارة العمليات والقدرات العقلية ، كما أن العقل بالفطرة إذا لم يجد صورة أمامه يميل إلى عمل صور ذهنية عن طريق ما يمكن أن يسمى بعيون العقل وهناك علاقة بين عمليات الذاكرة وبين استخدام الصور والرسوم التوضيحية وخاصة في عمليتي الاستدعاء والتعرف (20) وهذا دليل على قوة الصور والرسوم وقدرتها على التحكم في المواقف التواصلية المختلفة ، كان هذا التواصل في شكل حوار خارجي (مع الآخر وهو المعلم أو المرسل) أو حوار داخلي (الصورة الذهنية أو السنن الإدراكي)؛ فاكتماب المتعلم في حالة التلقي لمهارة قراءة الصورة

تساعده على تحصيل لغة أخرى وهي اللغة البصرية التي تساعده على زيادة قدرته على الإتصال ، كما أنها تكسب المتعلم البلاغة البصرية التي تتطلب إتاحة الفرص للمتعلم لرؤية الصور و مناقشتها و التفاعل معها لكي يصل إلى المعلومات و الحقائق الموجودة في الصورة باستخدام السنن المعرفي لديه ؛ فنجد أن " علي محمد عبد المنعم " تبنى تصورا لمستويات قراءة الصورة أو البصريات و تكون من مستويات سبع (21):

- مستوى التعرف: وذلك بالتعرف على عناصر المثير البصري و عدها و تسميتها (المستوى الأدنى)
- مستوى الوصف: يوصف عناصر المثير البصري و تحديد تفصيلاته
- مستوى التحليل : و ذلك بتصنيف عناصر المثير البصري ، و تجميعها لتحديد موقعها في شبكة معلوماته المعرفية و استدعاء المعارف السابقة (السنن المعرفي) المرتبطة بها .
- مستوى الربط و التركيب : و ذلك بربط عناصر المثير البصري بعضها ببعض ، مع محاولة وضع فرضيات و اقتراحات حول المعاني التي يمكن استخلاصها عند تركيب هذه العناصر مع بعضها ، في كل متكامل .
- مستوى التفسير و استخلاص المعنى : و ذلك بتقديم التفسيرات اللازمة للإفتراضات حول المعنى المستخلص من المثير البصري ، و التوصل إلى قرار يتعلق باستخلاص المعنى الذي تحمله رسالة المثير البصري ، و ما يرتبط بذلك من مفاهيم .
- مستوى الإبداع : و يتم بتوظيف المعنى و المفاهيم المستخلصة لإستخدامها في مواقف عديدة و يظهر ذلك على شكل تغيرات سلوكية
- مستوى النقد: الذي يوجه إلى المثير البصري المقصود من كل جوانبه ، مع تقديم الإقتراحات التي تتعلق بتطوير ذلك المثير .

6 . الصورة النصية في الكتاب المدرسي (قراءة و تأويل):

الصورة في الكتاب المدرسي هي أكثر من عرض لموضوع ما، هي أداة أو وسيط لإكتساب مهارات تحليلية تؤدي حتما إلى بناء الرؤية النقدية لدى المتعلم، من خلال البحث عن العوامل التكوينية للصورة و الحال ذاته بالنسبة للصورة في كتاب اللغة العربية، فهدفها ليس اللغة بل مهارات تحليلية تصب في محيط العملية التربوية، و التي تعد أعمق من قراءة عنوان الصورة أو موضوعها؛ و كتاب لغتي الوظيفية للسنة الثانية ابتدائي يعد أهم السندات البيداغوجية التي يعتمد عليها كل من المعلم و المتعلم في العملية التعليمية التعلمية في السنة الثانية من التعليم الابتدائي، و أهميته هذه جعلت منه - على غرار بقية الكتب المدرسية - محل اهتمامنا في هذا التحليل ، و قد أدى العمل على تطويره في كل مرة إلى ظهوره في أشكال و مضامين مختلفة و بناء على المقاربات الجديدة ؛ اعتمدت دراستنا على مدى التناغم بين المقاربة الأيقونية و المقاربة النصية

- دراسة نماذج من صور كتابي "لغتي الوظيفية" للسنة الثانية ابتدائي وكتاب التلميذ للسنة الأولى من التعليم الإبتدائي من الجيل القديم وكتاب السنة الثالثة من التعليم الإبتدائي من الجيل الثاني:

1 – الصورة الخاصة بمحور "المدرسة" : هي أول صورة يضمها كتاب لغتي الوظيفية ، و ينتج عنه نص لغوي يخاطب الطفل مباشرة

أ – طبيعة الصورة : تقدم الصورة مجموعة من العلامات الأيقونية المتمثلة في صور بعض التلاميذ وهم يحملون محافظهم ، و على رأسهم شخصية البطلة "سلي" ، التي تقدم من خلال الرسالة اللغوية المرافقة للصورة معلومات عنها و عن أختها ، و أصدقائها ثم تعد الأطفال بأن تلتقي بهم فيما يأتي من نصوص ، و تتمنى لهم التوفيق و النجاح؛ خلف الصورة كل من "سلي" و أختها "زينب" "عصام" و أخته "صباح" ، "طارق" و "هدى" ، كما تتضمن الصورة بناية واسعة عليها يرفرف عليها العلم الجزائري ، كتب عليها بخط عريض "المدرسة" ، و داخل المدرسة نجد إلى جانب البنائيات أشجار خضراء و السماء زرقاء و فيها بعض السحب .

أما فيما يخص العلامات التشكيلية فقد اقتضت الصورة على الأشكال البسيطة كالمربع و المستطيل و التي ترمز إلى السهولة و البساطة و المباشرة ، و هي مناسبة تماما لبساطة الرسائل التي تنقلها مثل هذه الصورة خاصة و أن المتلقي صغير السن ليس لديه القدرة على فك الرموز ، إذ ليس مناسباً أن تأتي الصورة معقدة و مركبة .

و قد تعددت ألوان الصورة ، فقد كانت الأرضية بلون زهري ، و كانت بمثابة الخلفية لصور الأطفال الستة ، الذين يلبسون ثياب ملونة جمعت بين الأزرق و البرتقالي ، و الزهري و البنفسجي ...كما اختلفت ألوان شعرهم بين الأسود و البني ، أما صورة المدرسة فقد جاءت بنفس لون الخلفية ، في أسفلها لمسة بلون بنفسجي و كأنه تدرج من البنفسجي إلى الزهري ، كما جاءت السماء بلونها الطبيعي و هو الأزرق ، و كذلك الحال بالنسبة للأشجار التي اكتست لونا أخضرا ، دون أن ننسى ظهور ألوان العلم الوطني الذي يرفرف فوق المدرسة .

ب – مكونات الصورة : إن صورة المدرسة و هي المكان الذي يقصده التلاميذ من أجل التعلم ، و هي بسيطة و جلية تجعل عملية الاستقبال الأولى واضحة حيث نجدها تعرفنا بأهم الشخصيات التي سيتكرر وجودها على مدار الكتاب ، كما يتضح أن حيز المكان فيها هو المحيط المدرسي الذي تدل عليه عدة مؤشرات من بينها صورة المدرسة و محافظ التلاميذ ، إلا أن إطار تواجد الأطفال غير واضح لغياب أي معلم يدل على المكان ، لتبقى المدرسة هي المعلم الوحيد الذي يقربنا من المكان و قد كان ظهور الشخصيات في إطار كامل دليل أهميتها ؛ و بالنسبة للألوان كانت في مجملها باهتة و المساحات لم تكن ملونة بانتظام و دقة و قد ظهر هذا جليا في وجوه الأطفال من خلال تذبذب اللون .

ج - تأويل الصورة : إن تأويل هذه الإرسالية البصرية لا يمكن أن يتم بمعزل عن سياقها الداخلي ، الذي يساهم في إنتاج العديد من الدلالات المحتملة في هذه الصورة سواء من خلال العنوان أو النص اللغوي الذي يرافقها ، و كذلك بالنظر لمختلف السياقات الخارجية التي تحيط بهذه الرسالة البصرية .

الصورة و السياق الداخلي : لقد ورد نص قصير إلى جانب هذه الصورة و هو نص يخاطب أطفال السنة الثانية من التعليم الابتدائي على لسان "سلى" التي تقدم نفسها على أنها تلميذة في السنة الثانية ، و تقدم مجموعة أخرى من الأطفال من بينهم أختها "زينب" و بعض أصدقائها ، فالصورة تترجم مباشرة ما يقوله النص، خاصة عندما تقدم لنا صور الأطفال الذين وردت أسماءهم في النص، و الذين ينتمون إلى مدرسة واحدة ؛ و من خلال النص تضرب "سلى" موعدا لكل الأطفال بأنها ستلتقي بهم في ما يلي من صفحات الكتاب ، و تترجم الصورة ما يقوله النص اللغوي ، فتظهر "سلى" في وضعية المتكلم، و بقية الأصدقاء يشيرون بأيديهم علامة على التحية؛ إن الصورة هنا تأتي كوسيلة لتدعيم و تجسيد معلومات النص اللغوي من أجل خلق نوع من التشويق و فتح المجال أمام الطفل لاستعمال مخيلته و توظيف معارفه السابقة المتمثلة في السنن الإدراكي و استخدامه لتحصيل الفكرة .

الصورة و السياق الخارجي : و يقصد به ما يحيط بالصورة من أسئلة خارجية و ظروف، إما أن تكون مساعدة على تبليغ الرسالة للمتعلم، أو تكون معرقله لعملية التواصل، خاصة و أنها تمثل وسيلة فعالة للتواصل مع المتعلمين، و هي لا تقتصر على تعليم اللغة بل لها عدة أهداف منها، إعداد المواطن الصالح و رجل المهام الصعبة و هي تحمل رسائل مختلفة منها:

1 - تقدم الصورة نماذج عن الأخوة و الصداقة، و جو من التفاهم و المحبة، و ذلك من خلال ظهور كل من "سلى" و أختها "زينب" و هما يمسان بأيدي بعضهما ، و الحالة ذاتها بالنسبة "لعصام" و أخته " صباح" و الصديقان " طارق" و " هدى"؛ كما تقدم الصورة نوعا من الرفاهية الاقتصادية التي يتمتع بها أولئك الأطفال

و التي قد لا يتسنى للعديد من الأطفال أن يعيشوها، و هذه الحالة تتضح من خلال الثياب الجميلة و الملونة التي يرتدونها.

2 - تنمية روح حب العلم في المدرسة ، و التلهف للعودة من جديد إلى القسم ، أين يتعلم التلاميذ أمورا جديدة عن لغتهم ، و وطنهم و دينهم ، إضافة إلى تشجيع الطفل على التواصل و التعبير عن الذات ، عن طريق اللغة خاصة و قد أصبح في مرحلة السنة الثانية من التعليم، و ذلك من خلال الإقتداء بشخصية "سلى" التي تمثل صورة كل تلميذ في السنة الثانية .

3 - تمثل صورة الأطفال مجتمعين حالة من الأخوة و المحبة يلفها جو من السرور و الغبطة ، فالهدف واحد ، كل واحد منهم يريد أن يدرس و يتميز، أن يقدم مثلا و قدوة لبقية الأطفال ؛ لكن

الملاحظة الوحيدة التي قد تحمل معها تأثيرا سلبيا على المتلقين ، هو عدم إرتداء هؤلاء الأطفال لمآزرهم وهذا قد يشجع تكرار السلوك لدى المتعلمين .

2 - الصورة المرافقة لنص "سلمى تساعد المحتاجين" : وردت هذه الصورة ضمن محور التضامن و المواطنة، وهذا ما يثمنه عنوان النص الذي يصح باسم شخصية أخرى وهي الطفلة "سلمى" وهي تلميذة يستنبط شخصيتها المتعلمين من مضمون النص .

أ – طبيعة الصورة : تتألف الصورة على غرار بقية الصور من مجموعة من العلامات الأيقونية إلى جانب علامات أخرى تشكيلية ، وفيما يلي نتعرف على مختلف هذه العلامات؛ تتمثل العلامات الأيقونية في هذه الصورة في صورتين شخصيتين جديدتين صورة رجل كهل يضع نظارات، و صورة امرأة تلبس مئزرا، و هما يقفان فوق مصطبة و بجانبهما مكتب عليه مزهرية وضعت فيها ورود مختلفة كما غلبت الخطوط المنحنية التي فرضتها بساطة الصورة و سن المتلقي، أما الألوان فقد تعددت كالبنّي (لون المكتب – الشعر)الأخضر و الأزرق البارد (ملابس الرجل)البنفسجي(المزهرية)الأصفر(الجدار)...

ب – مكونات الصورة : تظهر بساطة الصورة من كونها غير متعددة المكونات و منظمة، فصورة المرأة و الرجل وسط الصورة يبين أنهما يمثلان القضية المحورية و يتضح المكان إذا دققنا في محتويات الصورة المصطبة المكتب ...هي مؤشرات توجي إلى أن الصورة تمثل جو القسم، فتلك المرأة هي المعلمة، كما تظهر رؤوس التلاميذ غير واضحة إضافة إلى جزء من السبورة و بالتالي فالصورة تبدو مقتطعة و غير واضحة في غياب الطاوات و صور التلاميذ و ألوان غير متناسقة كملابس المدير و لون الجدار و المصطبة و ذلك لإستعمال الألوان الحارة المتقاربة كالأصفر و البرتقالي.

ج – تأويل الصورة : تحمل الصورة موضوع التحليل العديد من الرسائل خصوصا أنها تعمل على توضيح الأفكار الموجودة في النص المرافق لها و من أهم هذه الرسائل :

- الصورة و السياق الداخلي : البداية من العلاقة بين الصورة و عنوان النص و هو " سلمى تساعد المحتاجين " فالواضح أن الصورة لا تعكس بأي حال من الأحوال مضمون العنوان فلا وجود لشخصية "سلمى" و لا للمحتاجين في الصورة فمن يقرأ العنوان يتوقع ظهور صورة "سلمى" و هي تسعى لمساعدة المحتاجين؛ أما عن مضمون النص

و مدى ارتباطه بالصورة فهو نص حوارى يتحدث عن دخول المدير إلى القسم وإجرائه لحوار مع التلاميذ و الذي تتخلله شخصية مجهولة لعلها شخصية "سلمى" و هي تريد أن تساعد المحتاجين بالمكتب حيث لا يتضمن أي تصريح بذلك؛ و النتيجة أن الصورة لا تجسد سوى جزء من النص و هو الجزء الخاص بدخول المدير و كلامه مع التلاميذ، أما الجزء الأهم فهو غير موجود إذن أين هم التلاميذ الذين يخاطبهم المدير في الصورة و أين سلمى؟ و لأن طرف التواصل غائب عن الصورة فالعملية التواصلية تبدو غير واضحة حيث إن الصور لا تعكس الحوار بين المدير

و التلاميذ بل بين المدير والمعلمة .

- الصورة و السياق الخارجي : تحمل الصورة رسائل منها ماهو تقرييري و منها ماهو مستنتج و من أبرزها :

- الحث على تبني المواقف النبيلة التي تعبر عن التضامن و من بينها مساعدة المحتاجين عن طريق توزيع الكتب و هي نوع من أنواع التآزر و التعاون بين الأفراد و دعوة إلى تنمية روح المحبة و الإحسان و وضع أطر عامة للتكافل الاجتماعي بين الأطفال "رجال الغد"

- إظهار المدير بالصورة النمطية للمسؤول الحقيقي ذو الحزم و صرامة، الذي يعمل على ترسيخ مواطن التضامن

و مساعدة الآخرين في النشء، بالرغم من أن هذه الشخصيات و جب أن تصور في أحسن الأشكال و ذلك كون الصورة بعيدة عن التناسق في ألوانها.

خاتمة:

إن دور الصورة كبير و زاد الاهتمام بتضمينها في الكتاب المدرسي و هي متلائمة مع المحتوى التعليمي و الذي هدفه الجمع بين اللغة اللفظية و العلامة الأيقونية أي اللغة البصرية و ذلك من أجل جعل عمليتي التعليم و التعلم أكثر دقة و فاعلية، إذ تساهم الصور و الرسوم التوضيحية في تكوين ثقافة المتعلمين البصرية و زيادة فاعلية عملية التعليم و التعلم كما تؤدي إلى تطوير قدرات المتعلمين و تنمية التفكير التأملي و النقدي لديهم؛ و من أهم النتائج المتوصل إليها

- تتميز الصورة البصرية بقوة بلاغتها في التعبير و التواصل و ذلك لغزارة مخزونها بالمعاني و الدلالات كما تنفرد عن باقي الوسائط التعليمية بتنوع وظائفها الدلالية المتعلقة بمكوناتها و عناصر طبيعتها .
- إن تعدد عناصر طبيعة الصورة (العلامة الأيقونية و العلامة التشكيلية) و تنوع مكوناتها (المنظور ، الإطار ، زاوية النظر ، الإضاءة ، الألوان) أسهم بشكل فعال في إغناء الوعاء الدلالي للصورة فتحوّلت بذلك إلى أداة تعليمية بالغة التأثير و الإقناع ، و مصدرا مهما في إضفاء عناصر الإثارة و التشويق على النص .

- الوصول إلى أن مرافقة النص للصورة يسهم بشكل كبير في تفسير رموزها و بيان دلالاتها مما يثبت بجزم على أنه لا غنى للصورة عن النص، و لا للنص عن الصورة فهما يشكلان ثنائية متلازمة، إذ يتشكل المعنى عبر ظلالهما .



سَلْمَى تُسَاعِدُ الْمُحْتَاجِينَ

■ أَشَاهِدُ وَأَسْتَمِعُ

دَخَلَ الْمُدِيرُ إِلَى الْقِسْمِ فَقُمْنَا لَهُ، ثُمَّ أَمَرْنَا بِالْجُلُوسِ، وَقَالَ :
- صَبَاحُ الْخَيْرِ يَا أَوْلَادِي. سَتَقُومُ مَدْرَسَتُكُمْ بِجَمْعِ الْكُتُبِ

لِتَقْدِيمِهَا إِلَى التَّلَامِيذِ الْمُحْتَاجِينَ، فَهَلْ تَرْعَبُونَ فِي الْمُشَارَكَةِ ؟

- فَقُلْنَا، جَمِيعًا : نَعَمْ !

- إِذَا فَلْيُحْضِرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ كُتُبًا زَائِدَةً، وَتَقُومِ الْمُعَلِّمَةُ

بِتَغْلِيفِهَا وَتُوزِعُهَا فِي الْحَفْلَةِ. فَقَالَتْ سَلْمَى لِمُعَلِّمَتِهَا :

هَلْ يُمَكِّنُ لِي أَنْ أَشْتَرِيَ لَهُمْ كِتَابًا جَدِيدًا ؟

قَالَتِ الْمُعَلِّمَةُ : نَعَمْ وَلَكِنْ لِمَاذَا كِتَابًا جَدِيدًا ؟

- لِأَنِّي جَمَعْتُ نَقُودًا فِي الْحِصَالَةِ.



■ اَكْتَشِفْ



دَخَلَ الْمُدِيرُ وَقَالَ : سَنَقُومُ بِجَمْعِ الْكُتُبِ لِتَقْدِيمِهَا

إِلَى التَّلَامِيذِ الْمُحْتَاجِينَ. فَهَلْ تَرْعَبُونَ فِي الْمُشَارَكَةِ ؟

■ أَقْرَأْ

الْمُدِيرُ - طَلَبَ الْمُدِيرُ

الْمُعَلِّمَةُ - قَالَتِ الْمُعَلِّمَةُ

■ أَثْبِتْ

- أَرَادَتْ سَلْمَى أَنْ تَشْتَرِيَ كِتَابًا جَدِيدًا لِتَقْدِمَهُ الْمُعَلِّمَةُ إِلَى الْمُحْتَاجِ.

1. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، مج 2، د.ت، ص 492
2. صلاح عبد الفتاح الخالدي: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائرية ص 74
3. عبد الحميد شاکر: عصر الصورة السلبية والإيجابيات، المرجع السابق، ص 18.
4. ينظر، سعيد بنكراد: السيميائيات- مفاهيمها وتطبيقاتها-، ص: 121
5. المرجع نفسه ص : 128- 130
6. عبد الحق بلعابد: سيميائيات الصورة- بين آليات القراءة وفتوحات التأويل-، ص 149.
7. Dominique Serre-Floersheim, quant les images vous prennent au mot, P20.
8. عبد الحق بلعابد: سيميائيات الصورة - بين آليات القراءة وفتوحات التأويل -، ص 150.
9. ينظر، سعيد بنكراد: السيميائيات - مفاهيمها وتطبيقاتها-، ص 133.
10. Martine Joly: introduction a l'analyse de l'image, P30
11. G. Jean: approches sémiologiques de la relation texte- image dans les livre et albums pour enfants, in enfants, l'image et récit, P4.
12. ينظر، سعيد بنكراد: السيميائيات- مفاهيمها وتطبيقاتها-، ص 140.
13. سعيد بنكراد: السيميائيات- مفاهيمها وتطبيقاتها-، ص 133
14. محمد غراقي قلعة في السيميولوجيا البصرية محلية فكر ونقد، ص 13.
15. Marie Claude Vettraino Soulard: lire une image,
16. ينظر جمال أردان: المنظورية والتمثيل مقلوبة فلسفية لمفاهيم المكان والرؤية في فن الرسم-، مجلة فكر ونقد، ع 13. (إلكتروني)
17. شاکر عبد الحميد بالتفصيل المالي دراسية في سيكولوجية الذوق فيه بحالة عالم المعرفة، ع 267، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، ص.ص: 257، 259.
18. أحمد أنور عمر، الكتاب المدرسي، دار المريخ للنشر المملكة العربية السعودية، ص 46
19. ينظر محمد فتحي عبد الهادي وآخرون، مكتبات الأطفال ص 58.
20. عبد العظيم الفرجاني، التربية التكنولوجية وتكنولوجيا التربية دار غريب، القاهرة 1997، ص 93.
21. ينظر علي محمد عبد المنعم، الثقافة البصرية ص 92- 93